أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين الهمذاني

(رضي الله عنه)

هو أحد الأئمة العارفين والعلماء الراسخين والأولياء الكاملين . إنتهت إليه في خرسان تربية المريدين والسالكين واجتمع عنده في رباطه بمرو من العلماء والصلحاء جماعة كثيرة، إنتفعوا به وبكلامه ووصلوا إلى آمالهم الكبيرة، ولد قدس الله سره في همذان ونشأ فيها ثم رحل منها وهو إبن ثمان عشرة من العمر إلى بغداد حيث تفقه في مذهب الإمام الشافعي على

شيخ الدنيا سيدنا الشيخ إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي صاحب التنبيه، ولازم مجلس إبن إسحاق الشيرازي وقدّمه مع صغر سنه على أقرانه ورفع قدره حتى برع في الفقه وغيره لا سيما علم النظر، وسمع من الخطيب وثقاة كثيرة في بغداد وأصفهان وبخارى وخراسان وخوارزم وما وراء النهر، وحصل له القبول التام ثم إنقطع وتزهد وتعبد واشتغل بالمجاهدات والرياضات تحت تربية سيدنا أبي علي ا لفارمدي قدس الله أسراره حتى صار غوث الزمان وغيث الحقائق والعرفان وعقد له مجلس الوعظ والإرشاد والتذكير في بغداد ثم رحل إلى (مرو) وأقام بها وظهرت على يديه كرامات بالغات باهرات لا تحصى ولا تحصر، ومنها أن رجلاً من جماعته خرج عنه وصار يقع فيه بما هو بريء، فقال الشيخ : هذا رجل يقتل فقتل . ومنها أنه كان يتكلم للناس فقال له فقيهان كانا في مجلسه أسكت فإنما

أنت مبتدع . فقال لهما أسكتا لا عشتما فماتا مكانهما . ومنها أنه جاءته إمرأة من همذان باكية فقالت له إن إبني أسره الإفرنج، فصبرها فلم تصبر فقال اللهم فك أسره وعجل فرجه، ثم قال لها : إذهبي إلى دارك تجديه بها، فذهبت المرأة فإذا ولدها في الدار، فتعجبت وسألته فقال إني كنت الساعة في القسطنطينية العظمى والقيود في رجلي والحرس علي، فأتاني شخص فاحتملني وأتى بي إلى هنا كلمح البصر . وفي الفتاوى الحديثة للعلامة إبن الحجر الهيثمي قدس الله سره، وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم فرافقت إبن السقا في الطلب بالنظامية وكنا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر إذا شاء ويختفي إذا شاء في مجلسه، فقصدنا زيارته أنا وإبن السقا والشيخ عبد القادر الجيلاني وهو يومئذ شاب فقال إبن السقا ونحن سائرون لأسألنه مسألة لا يدري جوابها وقلت لأسألنه مسألة وأنظر ما يقول فيها، وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني معاذ الله أن أسأله شيئاً أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته .فدخلنا عليه فلم نره إلا بعد ساعة، فنظر الشيخ إلى إبن السقا مغضباً وقال : ويحك يا إبن السقا تسألني مسألة لا أدري جوابها ؟ هي كذا وجوابها كذا، إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك، ثم نظر إليّ وقال : يا عبد الله تسألني عن مسألة تنتظر ما أقول فيها هي كذا وجوابها كذا، لتحزن الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك . ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر وأدناه منه وأكرمه وقال : يا عبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله ε بحسن أدبك، كأني أراك ببغداد وقد صعدت الكرسي متكلماً

على الملأ وقلت قدمي هذه على رقبة كل ولي، وكأني أرى الأولياء في وقتك قد حنوا رقابهم إجلالاً لك . ثم غاب عنا فلم نره، قال : فأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت إمارات قربه من الله عز وجل وأجمع عليه الخاص والعام، وقال كما بشره قدس الله سره وأقرت الأولياء في وقته له بذلك . وأما إبن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق كثيراً من أهل زمانه واشتهر بقطع من يناظر في جميع العلوم وكان ذا لسان فصيح وسمت بهي، فأدناه الخليفة منه وبعثه رسولاً على ملك الروم فرآه ذا فنون . وفصاحة وسمت فأعجب به وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية وناظرهم فأفحمهم وعجزوا، فعظم عند الملك فزادت فتنته فتراءت له بنت الملك فأعجبته وفتن بها فسأله أن يزوجها له، فقالت إلا أن يتنصر، فتنصر وتزوجها ثم مرض، فألفوه يسأل القوت فلا يجاب وعلته كآبة وسواد حتى مر عليه من يعرفه، فقال له ما هذا ؟ قال : فتنة حلت بي سببها ما ترى . قال له تحفظ شيئاً من القرآن ؟ قال : لا إلا قوله[**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**](2الحجر) قال ثم جزت عليه يوماً فرايته كأنه قد حرق وهو في النـــزع فقلبته إلى القبلة فأستدار إلى الشرق فعدت فعاد وهكذا إلى أن خرجت روحه ووجهه إلى الشرق، وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بسببه .

قال إبن عصرون : وأما أنا فجئت إلى دمشق فأحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد وأكرهني على ولاية الأوقاف وأقبلت علي الدنيا إقبالاً كثيراً، فقد صدق قول الغوث

فينا كلنا . وذكر الشيخ الأكبر قدس الله سره في بعض مصنفاته أنه سنة ستمائة واثنتين جاء الشيخ أوحد الدين حامد الكرماني إلى منـــزله في مدينة قونيه وحكى له أن الشيخ يوسف قدس الله سره أقام في مقام المشيخة والإرشاد في بلادهم أكثر من ستين سنة، وأنه كان يوماً جالساً في زاويته على حسب عادته فخطر بباله الخروج من الزاوية ولم يكن يخرج منها إلا لصلاة الجمعة، فثقل هذا الخاطر عليه ولم يعلم أين يذهب، فركب حماراً وأطلق له العنان ليتوجه إلى أي جهة أرادها الحق تعالى، فسار الحمار حتى أخرجه ظاهر البلدة وأوصله إلى مسجد خراب في البادية ووقف، فنـــزل الشيخ ودخل المسجد فوجد فيه شاباً مطرقاً رأسه عليه هيبة وجلالة، فبعد ساعة رفع رأسه ونظر إلى الشيخ فقال له : يا يوسف، أنه وقعت له مسألة مشكلة وذكرها له فحلها الشيخ له، ثم قال : بعد ذلك يا غلام : كلما وقع لك مشكل فأتني إلى الزاوية واسألني عنها ولا تكلفني الخروج إليك، يقول الشيخ قدس الله سره فنظر إليّ الغلام وقال إذا أشكل علي شيء فكل حجر من الأحجار هو لي يوسف مثلك . قال سيدنا الشيخ الأكبر فعلمت من ذلك أن المريد الصادق يقدر بصدقه على جذب الشيخ إليه . وذكر الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي قدس الله سره، أنه وجد بعض كراريس من كلام الشيخ في علم الحقيقة قال فلما طالعتها تلذذت بها وتطلبت معرفة مؤلفها فلم أعرفه ولا وجدت بقيتها فنمت ليلة فرأيت رجلاً أبيض اللحية وقوراً مهاباً منوراً للغاية قد دخل الرباط وذهب إلى المتوضأ وكان لابساً جبة بيضاء واسعة كتب عليها بماء الذهب آية الكرسي بخط

جسيم حيط بجميع الجبة فاتبعته فنـــزع الجبة عنه ودفعها إلي فظهر تحتها جبة خضراء أحسن من الأولى مكتوب عليها آية الكرسي كذلك فنـــزعها ودفعها إلي أيضاً، قال لي : أحفظهما حتى أتوضأ، فلما أتم وضوءه قال لي أريد أن أعطيك إحدى هاتين الجبتين فأيتهما تختار فقلت : أنا لا أختار بل ما تختاره أنت هو المقبول، فألبسني الجبة الخضراء ولبس هو البيضاء، ثم قال لي : أتعلم من أنا؟ فقلت لا . قال أنا يوسف الهمذاني مصنف الكراريس الذي كنت تطلبه وهي من كتابي المسمى رتبة الحياة ولي مصنفات أخرى أحسن مثل منازل السائرين ومنازل السالكين ثم إستيقظت من النوم، وقد سررت سروراً عظيماً .

من أقواله وكلامه الدال على علو مقامه قدس الله سره، السماع سفر الحق ورسول من الحق، وهو لطائف الحق وزوائده، وفوائد الغيب وموارده، وبوادي الفتح وعوائده، ومعاني الكشف وبشارته، فهو للأرواح قوتها وللأشباح غذاؤها وللقلوب حياتها وللأسرار بقاؤها، فطائفة أسمعها الحق بشاهد التنـــزيه، وطائفة أسمعها بنعت الربوبية، وطائفة أسمعها بنعت الرحمة،

وطائفة أسمعها بوصف القدرة، فقام لهم الحق مسمعاً وسامعاً، فالسمع هتك الأستار وكشف الأسرار، وبرقة لمعت، وشمس طلعت، وسماع الأرواح بإستماع القلوب على بساط القرب بشاهد الحضور من غير نفس تكون هناك فتراهم في السماع، والهين حيارى رامقين أسا رى

خاشعين سكارى . وأعلم أن الله خلق من نور بهائه سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين وأقامهم بين العرش والكرسي في حضرة الأنس لباسهم الصوف الأخضر ووجوههم كالقمر ليلة البدر فقاموا متواجدين والهين حيارى، خاشعين سكارى منذ خلقوا مهرولين من ركن العرش إلى

ركن اللكوسي لما بهم من شدة ألوله فهم صوفية أهل السماء فإسرافيل قائدهم ومرشدهم وجبرائيل رئيسهم ومتكلمهم والحق تعالى أنيسهم ومليكهم فعليهم السلام من الله عز وجل .

فأحسن تربية مريديه وخلفاءه وكان أشرقهم نوراً وأعلمهم علماً وأعلاهم حالاً سيدنا عبد الخالق الغجدواني وكان في حداثة عمره، فعهد إلى سيدنا أبي العباس الخضر عليه السلام إكمال تربيته وتلقينه بعده السر الأعظم الذي جعله أمانة في قلبه وعهده في صدره الشريف ليصبه في صدر وقلب سيدنا عبد الخالق قدس الله سره، ثم بعد أن أقام مدة مديدة في مدينة مرو رحل إلى هراة وأقام بها طويلاً فسأله أهل مرو العود إليها فذهب حتى إذا وصل إلى باميين فيدا بليدة بخرسان بين هراة وبغشور أدركته الوفاة فدفن بها، ثم بعد حين نقلت جثته الشريفة إلى مرو وجعلت في الحضرة المنسوبة إليه وقبره يزار ويتبرك به وكانت وفاته في غضون شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة رضي الله عنه . آمين .

ثم إنتقل هذا السر الأعظم وسر هذه النسبة الشريفة إلى سيدنا أبي العباس الخضر عليه السلام

سيدنا يوسف الهمذاني

حياته المعنوية قدّس الله سرّه

سيدنا يوسف الهمذاني بن أيوب أعلى الله تعالى درجاته دائماً ولد في الحادي عشر من شهر رجب الحرام بين العصر والمغرب سنة 440 هـ وإنتقل في الثالث عشر من شهر ربيع الأول يوم الأربعاء وقت الضحى سنة 535هـ في جزيرة " الفيدا" في اليمن .

وهمذان إسم قبيلة في ولاية من ولايات اليمن، أول من حصل لهم الشرف من نور الإسلام والهداية من أهل اليمن، وأنه ε دعى الله تعالى في حقهم يا رب لا تنقص من بينهم مرشداً كاملاً إلى يوم القيامة، وأجاب الله تعالى دعائه، فلأجله لم ينقص فيهم مرشداً إلى الآن ولا ينقص بعد اليوم إلى يوم القيامة، وإلى هذه الساعة بينهم الكمل من أكابر الأولياء وخاصة في هذا العصر الأمة الأخيرة من أمة المصطفى ε بينهم سيدنا " عبد الرؤوف اليماني" من كبار وزراء صاحب الزمان، وبعد مضي خمسة وعشرين سنة من دفن سيدنا يوسف الهمذاني أخرجه الأهالي من قبره خوفاً أن يخرب الماء مقامه الشريف لكونه في مكان يصل

إليه ماء النهر ودفنوه في مرو الذي يباع فيه البطيخ فببركته صار ذلك المكان بلدة كبيرة نحو خمسمائة بيت وكل ذلك ببركة دفنه فيها .

وسبب إجتماع الأهالي والناس حول مرقده الشريف حصولهم ببركته الرزق الوفير من بيع البطيخ وكذلك حصلوا ببركة جواره التقى والورع، فحصل لهم الأسباب الأخراوية والدنيوية وكل ذلك ببركة جواره . وإسم أمه " صوتى" فحين كان في الثامن عشرة سنة من عمره خرج إلى بغداد طلباً للعلم الشريف، فلما وصل إلى طرف نهر الفرات واقترب من ماءه توضأ

وصلى ركعتين أي ركعتي الإشراق وكان لم يحصل له الفتح بعد، وهنالك دعى الله تعالى وبهذا الدعاء والتضرع إجتباه الله تعالى وحصل له الفتح من طرف واحد من عرش الرحمن ورأى إسرافيل يذهب مع ملائكة كثيرة إلى الطرف الآخر من العرش إلى أن غابوا عن نظره،

وكان هؤلاء الملائكة من الملائكة المتصرفين، وبهذا التلذذ من مشاهدة تلكم الملائكة هتف له الهاتف الرباني قائلاً : ادعو وناجي الله تعالى حين تدخل بغداد فيظهر لك المعلم والأستاذ الذي يحصل لك منه العلوم النافعة والتي تحصل بها السعادة الحقيقية . وعندما دخل بغداد ودعى الله تعالى كما أمر بالهاتف وإذ به يجتمع بروحانية سيدنا أحمد بن حنبل رضي الله

تعالى عنه وقال له إذهب لدى فلان الشافعي، فذهب إليه وسكن عنده للتعلم وطلب العلم الشريف خمسة وعشرين يوماً وحصل له بهذه المدة جميع العلوم، ثم ناجى الله تعالى على أي شيء أشتغل بعد الآن فظهر له روحانية الرسول الأعظم ε وقال له يا ولدي أنت تعبد الله تعالى بعد معرفتك وعلمك حد عبوديتك حقيقة، وأيضاً ترفع ظلمة الظالمين الذين يظلمون قلوبهم وتسلط الفيض من تلكم الملائكة الذين رأيتهم بالفتح الأول، ويقول سلطان الأولياء قدس الله سره لا يوجد بين أفراد الناس من لا يظلم قلبه إلا نادراً، وفي تلك الليلة التي وقع له فيها الإجتماع مع روحانية الرسول ε ذهب إلى نهر الفرات طالباً مكاناً طاهراً على ضفته ليجلس بالحضور الحقيقي مع الله تعالى، فلم يجد ودار كرات ومرات على ضفافه لبلوغ لمثل ذلك المكان الطاهر إلى أن سمع صوتاً من وسط النهر يناديه قائلاً : يا سيدي إحضر إلى وسطي واجلس علي ببركتك، فسار إلى وسط ذلك النهر وجلس على الماء، وهنالك على هذه الكيفية جاءه السلام من جميع أرواح الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وحتى من منبع الفرات في الجنة جاءه السلام بماء الفرات، فرد عليهم السلام ثم نظر بعد ذلك إلى الذين يظلمون قلوبهم، وبنظر واحد أزال ورفع ظلم القلوب وحجبها المانعة من الله تعالى عن أربعين ألف من الموحدين، وفي تلك الليلة قد لقن تسعمائة ألف موحد سواء بجسمه أو بروحانيته ثم تكلم مع جميع حيوانات نهر الفرات على الكيفية التي لدى كل حيوان وكان تلك الليلة ليلة الإثنين، وفي وقت الإمساك طلبه أكابر عصره ليحضر معهم لطواف بيت الله الحرام فأجاب لهم

وجعلوه إماماً لهم فعلى هذه الكيفية أي حال كونه إماماً طافوا بالبيت العتيق ثم نزل تلكم الملائكة التي رآهم قبل في عرش الرحمن وقال له إسرافيل إن هؤلاء الملائكة يطلبون أن يكونوا تحت تربيتك إلى يوم القيامة، عندها قال سيدنا يوسف قدّس سرّه ما عددهم فقال إسرافيل عددهم على عدد جميع أولاد آدم عليه السلام من لدنه إلى يوم القيامة، فقبل سيدنا يوسف الهمذاني قدس سره طلبهم واستجاب لسؤالهم أن يكونوا تلكم الملائكة تحت تربيته .

وكان أستاذه ومربيه سيدنا أبو علي الفارمدي قدس سره وإلى هنا نقطة واحدة من بدايته أي بداية حاله، وما يدل على جزء واحد من نهايته أن جسمه كان مطوياً في الروح أي في روحه، فحين كان يفعل الصحبة لأتباعه إن شاء أثناء الصحبة يغيب عن العيون وإن شاء يظهر لهم وهذا الحال تجلى بأعلى صوره وقت حضور سيدنا عبد القادر الجيلاني وإبن سقا وملا عمر إليه وجلسوا في صحبته، وكان في ذلك الوقت يتهموه الخلق بالزندقة وهو يصبر على كلام الخلق ويخدم لمعنوياتهم الروحانية ولا يبالي .

وما إن أنهى خلوته في بغداد التي أمر بها حتى ظهر له الظهور الأكمل بالنسبة إلى الأولياء من الرسول ε بحيث لم يظهر مثله إلا لثلاثة من كمل الأولياء سواء من الأولين أو الآخرين وثانياً ظهر له الرسول ε على أكمل الكيفية التي لم يظهر قبل فحصل له بهذا

الظهور الإطلاع الدائم على الإحسانات والعطايا التي أعطاها الله تعالى لجميع أمم كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بمقابل عباداتهم وسائر حسناتهم حتى الحركات والسكنات والأنفاس وسائر المعاملات وكان في ضمن الأربع والعشرين ساعة يختم كلام الله تعالى أربع وعشرين ألف مرة وفي كل ختم يحضر إليه الرسول ε مع جميع الأنبياء والمرسلين ويفسر الرسول ε بعدد كل حرف فرداً فرداً مستمعين إليه جميع الأنبياء والمرسلين والأولياء .

وبعد مضي ثلاثون سنة على هذه الكيفية من الظهورات المذكورة من النبي ε والختمات القرآنية وتفسير الرسول ε وهو يختم في كل يوم وليلة أربع وعشرين ألف ختمة وفي ضمن تلكم السنين ويفسر لها الرسول ε بعد كل حرف وكل كلمة بالمعاني المتفرقة التي لا تتناهى أي لا يفسر للحرف بما فسره أولاً بل يفسره بتفسير آخر في كل مرة وفي كل يوم وفي كل ساعة

مع المعاني التي لا تتناهى حال كون الترقي يزيد له يوماً فيوماً في بحور المعرفة الإلهية . وكان يظهر ليوسف قدس سره زيادة درجة العجز والبعدية عن فهم معاني القرآن موافقاً على درجة أعمقيته وأبطنيته كما فسره الرسول ε فحينئذ فهم سيدنا يوسف الهمذاني قدس سره من القرآن حقيقته الإعجازية وعجزه المطلق عن إدراكها وعلم في نهاية عمره كونه أبعد من

المشرق إلى المغرب عن فهم معانيه وحقيقته ولو قدر جزء لا يتجزئ وحصل له حقيقة العجز عن فهم

معناه وهذا نهاية النقشبنديين .

شمائله : جسمه عظيم ليس مثله في عصره لكنه ضعيف، وجهه أسمر، لحيته مائلة إلى الحمرة معتدلة، عيونه أشد إحمراراً من النار، صوته داودي ومن سمع صوته من الموحدين لا يقدر بعدها أن ينظر إلى الدنيا ولا يخطر في قلبه حب الدنيا، وأما من فيه أثر النفاق فيهرب من صوته فزعاً منه وإن كان في الصلاة يهرب بإفسادها . وكان لا يتكلم بما يدل على الحديث إلا بالسواك وإن أراد أن يتكلم بالحديث الشريف كان يغتسل . أعلى الله تعالى درجاته دائماً .